

العلم بالعلم (1)(2)

واحدة من أهم ضرورات التكوين لكل منخرط في إنتاج المعرفة أن يتعرّف على العلم بصفته مدروساً لا بوصفه دارساً فقط .

من يتعرف على العلم كدارس للإنسان سيتعرف عليه كمنهج لمقاربة الإنسان في بعده النفسي إن كان مختصاً في علم النفس ، ومقارياً له في بعده الاجتماعي إن كان مختصاً في علم الاجتماع .

أما من يتعرف على العلم كدارس للأكوان فسيتعرف عليه كمنهج لدراسة الكم المحسوس إن كان فيزيائياً ، وكمنهج لدراسة الكم المجرد إن كان رياضياً .

وإذا تعرف عليه كعلم للفرقان فسيقترب منه كمنهج لدراسة علوم القرآن و الفقه والحديث والعقيدة وعلى ذلك قس .

كل ماسبق اقتراب من العلم كمنهج ، ولكن ماذا عن الاقتراب من العلم كموضوع ، ماذا عن العلم كموضوع للعلم ذاته !!

إنه لمن المهم جداً العلم بالعلم ، أو معرفة العلم ، أو مقارنة منطق العلم ، أو فلسفة العلم ، لنسّمها ماشئنا لا يهم ، هذا هو السبيل لكي لا تكون ممارسة العلم سبب الأدلجة ذاته .

عندما يتعلم الطبيب فإنه يتعلم كيف يقوم بالتطبيق ، ولا يتعلم بالضرورة كيف تم بناء الطب كعلم من خلال تاريخه .

وهذا ما يمكن أن ينسحب على كل متعلم يتغى امتهان وظيفه ما انطلاقاً من علمية المنهجية التي يكتسبها .

فالمتعلم أثناء فترة التكوين مهموم باكتساب منهجية مزاولة المهنة أكثر من التفكير في أسس علميتها ومرتكزاتها ، ولنقل بأن المتعلم عادةً ما يتجه للعلم الذي سيختص به كمستهلك للمعرفة .

أما من يتجه للعلم بالعلم في مجال ما ، فيتباين عما سواه في أنه يتوسل العلم لمعرفة كيف تم تشييد العلم من خلال تاريخه ، ولا يتسنى له ذلك إلا بمعرفة ماواجهه العلم طيلة فترة البناء من أزمات وعثرات وأخطاء ، بمعنى آخر العلم بالعلم هو اعتناء بتاريخ أخطاء العلم أكثر منه بحقائقه .

يتهيأ لي بأنه بات من الواضح الآن لماذا من الضروري على منتج المعرفة العلم بالعلم أكثر من أي مستهلك للمعرفة ، فمن المنطقي أن يعتني منتج الطابعة بتاريخ أخطاء التصنيع أكثر من مستخدميها .

